سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي للجمعية - ٥



جمعية التاريخ والآثار
بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور

مداولات
اللقاء العلمي السنوي الخامس للجمعية
الدوحة - قطر (٦ - ٩ صفر ١٤٢٥هـ / ٢٧ - ٣٠ مارس ٢٠٠٤م)

صور من الصلات الحضارية بين مكة المكرمة وبلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

أ.د. غيثان بن علي بن جريس(*)

أولاً - المقدمة :

موضوع حديثنا اليوم يدور حول صور من الصلات الحضارية بين مكة المكرمة[1] وبلاد تهامة و السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، وهو موضوع جدٌ طويل ومتشعب ، ولذا سوف أحاول في هذا البحث تسليط بعض الأضواء عليه ، وأبدأ بذكر السبب في اختياري لمثل هذا الموضوع ليكون محور دراستنا ، ويكمن السبب في إحساسي ، بصفتي باحثاً ، انصراف المؤرخين المحدثين عن التطرق إليه والغوص في تفاصيله ودقائقه، على الرغم مما يعكسه هذا الموضوع من أهمية تاريخية وحضارية بالغة، حيث يُبرز لنا تاريخ وحضارة مجتمعين مختلفين في كثير من مناحي الحياة ومناشطها لا سيما الناحية الجغرافية والموارد الاقتصادية ، مما جعلهما في حاجة إلى التواصل الدائم والمستمر فيما بينهما .

ثانياً - التعريف ببلاد تهامة والسراة :

وقبل أن أدخل في صلب موضوع هذا البحث ، أود التوقف قليلاً للتعريف بما المقصود من التعبير (ببلاد تهامة والسراة) الوارد في عنوان دراستنا هذه.. فنقول : المقصود بها تلك المنطقة الممتدة من قرب الطائف ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً. وهذه المنطقة لا تشمل كل بلاد تهامة والسراة المشار إليها في كتب التراث ، والتي قد تمتد شمالاً إلى

المدينة المنورة أو بلاد الشام، وجنوباً إلى حواضر اليمن الكبرى. وبين هذا وذاك ، سنركز في موضوعنا هذا على واسطة العقد أي قلب ذلك الإقليم ووسطه ، فنقول سراة الشيء في اللغة أعلاه وظهره ووسطه ، ويذكر عن بلاد السراة أو جبال السروات أنها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عرفة والتي تمتد إلى حواضر اليمن [٢]. ويشير بعض الجغرافيين المسلمين القدماء إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يطلق عليها جبال السروات ، وربما أطلق عليها الحجاز ، لأنها تحجز بين تهامة في الغرب ونجد في الشرق[٣]. ويبدو أن حدود جبال السروات أو الحجاز صارت مثار جدل واختلاف عند الجغرافيين المسلمين الأوائل . والذي يهمنا في هذا الصدد أن بلاد السراة المعنية هنا ، عرفت باسم السروات ، ومفردها سراة، وبهذه المنطقة سروات كثيرة - أي قمم - من أشهرها سراة الطائف ، يليها نحو الجنوب سراة فهم وعدوان ، ثم سراة بني سعد وبالحارث ، ثم سراة بني مالك بجيلة ، فسراة غامد وزهران ، ثم سراة خثعم وشمران وبلقرن ، فسراة الحجر ، يليها سراة عسير التي كان يطلق عليها قديماً (سراة عنز)، ثم سراة قحطان ، وتعرف قديماً (بسراة جنب)[٤]، وتمتد أطرافها الجنوبية إلى بلاد نجران .

أما المنطقة الواقعة بين سفوح جبال السروات الغربية ، والممتدة من مكة والطائف شمالاً حتى بلاد نجران وقحطان جنوباً ، وبين ساحل البحر الأحمر فيطلق عليها بلاد تهامة أو التهائم ، وكثير من أجزاء هذه البلاد تتبع بلاد السروات إما بالنسب أو الأحلاف .

وهذه الأجزاء التهامية والسروية يسكنها عديد من القبائل والعشائر والأفخاذ ، وفي بلاد السروات على وجه الخصوص كانت وما زالت تنسب

كل سراة إلى القبيلة أو العشيرة التي تقطنها ، وإن كان معظم سكان تلك السروات يسكنون في المرتفعات أو السروات التي تفصل بين الأجزاء التهامية والنجدية ، إلا أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عن مواطنها في السروات[٥]، وتنزل الأغوار التهامية في الغرب أو الأجزاء النجدية في الشرق .

ولذلك فإن بلاد السروات يغلب عليها كثرة وارتفاع الجبال والهضاب ، وتعدد الأودية التي تتجه إلى الغرب فتصب في البحر الأحمر ، أو تنحدر شرقاً تجاه هضبة نجد . كما أن أجزاء كثيرة من أرض تهامة والسراة تميزت بثراء غطائها النباتي الطبيعي ، وتنوع موارد الثروة الحيوانية بها، علاوة على كثرة مزارعها ومراعيها وكل ذلك مميزات عديدة لتلك البلاد جعلتها تختلف اختلافاً ظاهراً على سبيل المثال عن أرض مكة المكرمة التي عُرفت على مر السنين بندرة غطائها النباتي وغلبة الطبيعة الصحراوية عليها[٦]. ولكن لكونها بلداً حراماً فقد جعلها سوقاً تجارياً عالمياً يفد إليها الحجيج والتجار من كل مكان ، وهذا الاختلاف بين المنطقتين جعل الصلات نشطة بين أهليها على مر العصور التاريخية سواء في الفترة الجاهلية أو العصور الإسلامية على اختلافها[٧].

ثالثاً – الصلات الحضارية بين المكرمة أهل مكة وبلاد تهامة والسراة في عصر الرسالة :

أ) موقف أهل تهامة والسراة من الدعوة الإسلامية :

نجد أن القرآن الكريم يشير إلى تلك الصلات من خلال سورة قريش التي تتحدث عن رحلة تجار مكة الموسمية خلال فصل الشتاء إلى أرض اليمن. وكان أولئك التجار بدون شك يسلكون في رحلتهم الطرق التجارية

التي تربط بين مكة واليمن وبعضها كان يتخلل الأجزاء النجدية أو التهامية من أرض السروات[٨].

ولكن بعد مجيء الرسول (ﷺ) وظهوره في مكة المكرمة يدعو الناس إلى عبادة الله وحده أدى إلى أن تتصدى له قبيلة قريش وتحاربه بكل الوسائل ، وتحرض جميع القبائل في شبه الجزيرة على عدائه ومحاربته، وسكان تهامة والسراة بما فيهم أهل الطائف الذين لم يكونوا بمعزل عن سير الأحداث ، أثناء مرحلة الدعوة المكية ، وإنما كانوا على صلة سياسية وحضارية بأهل مكة ومن جاورها[٩]، ولكن السؤال الذي يواجهنا في هذا الصدد هو: ماذا كان موقف التهاميين والسرويين أثناء تلك الفترة؟ والواقع أن موقفهم كان سلبياً من الدعوة الإسلامية ، لأن قبيلة قريش في نظرهم كانت المثل الذي يقتدى به ، ولذا انساقوا وراء قريش في عدائها للرسول (ﷺ) في مكة المكرمة [١٠] ، ولم نستطع العثور على دليل واحد يشير إلى أن أهل تهامة والسراة وقفوا موقفاً إيجابياً من الرسول (ﷺ) ودعوته في المرحلة المكية ، اللهم إلا بعض حالات فردية تمثلت في شخصيات تجاوزت الطوق الذي ضربته قريش حول الرسول (ﷺ) ومن آمن معه في مكة المكرمة، ومن تلك الشخصيات التي حفظتها لنا بعض كتب التراث الإسلامي، على سبيل المثال، الطفيل بن عمرو الدوسي الزهراني، وضماد الأزدي (رضي الله عنهما) من أزد شنوءة بسراة عنز[١١]. وقد فصلت بعض كتب التراث الإسلامي قصة لقائهما بالرسول (ﷺ) وإسلامهما على يديه ثم رجوعهما إلى أوطانهم لدعوة أهلها إلى الإسلام[١٢].

وبعد هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة المنورة وقبل السنة الثامنة للهجرة بقيت بلاد تهامة والسراة تعيش كما كان القرشيون في ضلال وعبادة

للأوثان على الرغم من أن معظم أهل هذه البلاد قد سمعوا عن الإسلام وعن ظهور الرسول (ﷺ) سواء من القرشيين الذين يمرون ببلادهم في طريقهم إلى اليمن كما أسلفنا القول، أو من التهاميين والسرويين ذاتهم الذين كانوا ينزلون بتجاراتهم لأرض الحجاز، كما تسامعوا أيضاً بأمر الدعوة الإسلامية من مصادر أخرى منها السرايا التي أرسلها الرسول عليه الصلاة والسلام إلى بعض المواضع الجنوبية من مكة والطائف، فتشير بعض كتب السيّر إلى تلك السرايا ومنها السرية التي أرسلها الرسول عليه الصلاة والسلام في شهر شعبان من السنة السابعة للهجرة إلى منطقة تربة جنوبي الطائف(١٣)، وجعل على قيادتها الصحابي الجليل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكانت تضم من صحابة رسول الله ثلاثين رجلاً، فذهبوا إلى بلاد تربة فوجدوا العشائر قد تفرقت من مواطنها، فعادوا إلى المدينة(١٤). ولم تذكر الروايات الطريق التي سلكها عمر بن الخطاب للوصول إلى تربة جنوبي الطائف، حيث كانت أغلب البلاد جنوبي المدينة حتى تربة مأهولة بالمشركين المعادين للرسول (ﷺ)، ولكن ليس ببعيد أنه كانت هناك طرق مطروقة بين بلاد تهامة والسراة من جهة والمدينة المنورة من جهة أخرى، لأن المصادر تذكر قدوم أول طلائع المسلمين من بلاد تهامة والسراة في شكل جماعات، وذلك بعد رجوع الطفيل بن عمرو الدوسي من مكة إلى قومه ، فبقي يدعوهم إلى الإسلام حتى السنة السابعة للهجرة .

ب. دخول أهل تهامة والسراة في الإسلام وصلاتهم بالمدينة المنورة :

وفي السنة السابعة للهجرة خرج الطفيل بن عمرو الدوسي (رضي الله عنه) من بلاد غامد وزهران ومعه ثمانون بيتاً من دوس فقدموا على الرسول (ﷺ) وأعلنوا إسلامهم(١٥). وخروج مثل هذه الأعداد الكبيرة من

بلاد تهامة والسراة مروراً ببلاد الطائف ومكة المكرمة قبل فتحها ، يُعدّ دليلاً على وجود طرق تربط بين تهامة والسراة وبين المدينة المنورة، ثم إن أهل الطائف ومكة، وبخاصة منذ السنة السابعة للهجرة[١٦]، ربما غدوا عاجزين عن قطع الطريق الواصل بين بلاد اليمن وبين عاصمة الإسلام في المدينة، هذا بالإضافة إلى أن قوة المسلمين أصبحت مرهوبة الجانب ليس في المدينة وما حولها فحسب، وإنما في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية.

وبعد معركة حنين ، وحصار الطائف في السنة الثامنة للهجرة عَلَت كلمة الإسلام الأمر الذي أدى إلى انهيار الشرك في بلاد تهامة والسراة وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية . إذ تبع ذلك قدوم وفد من ثقيف على الرسول (ﷺ) في المدينة المنورة ، وتبعته وفود أخرى من حواضر تهامة والسراة وبلاد اليمن [١٧] . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل دخل سكان السراة وتهامة في الإسلام زرافات أو وحدانا ؟ وهل قام ممن دخل في الإسلام من أهل هذه البلاد بنشر الإسلام بينهم ؟ وهل بقي بعضهم على وثنيته تأخذه العزة بالإثم ؟

الواقع أن أهل تهامة والسراة لم يدخلوا في الإسلام بشكل جماعي ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من القبائل التي دخلت الإسلام بعد فتح مكة المكرمة . ويمكننا القول إن دخولهم الإسلام كان ما بين السنتين السابعة والعاشرة للهجرة . فبعد فتح مكة المكرمة ثم بعد معركة حنين ومحاصرة أهل الطائف ، بادر بعض السرويين والتهاميين بالدخول في الإسلام ، الأمر الذي أدى إلى استعانة الرسول (ﷺ) بهم وغيرهم من الداخلين في الإسلام على محاربة من بقي على عقائد الوثنية .

وتذكر بعض المصادر أن الرسول (ﷺ) أرسل الطفيل بن عمرو الدوسي

(رضي الله عنه) مع بعض رجاله بعد معركة حنين في السنة الثامنة من الهجرة لمحاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد ودوس وأوصاهم بهدم صنم عمر بن حممة الدوسي ، الذي يعرف بذي الكفين ، فلم يكن على الطفيل إلا أن يطيع أمر الرسول (ﷺ) ويطلب من الرسول الوصية ، فقال (ﷺ) للطفيل (أفش السلام، وابذل الطعام، واستحي من الله كما يستحيي الرجل ذو الهيئة من أهله[١٨]، إذا أسأت فأحسن، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[١٩].

ثم خرج الطفيل بمن معه فحارب بعض المشركين في بلاد دوس وما حولها ، ثم هدم صنم "ذا الكفين"، وجعل يحشو النار في جوفه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادك

ميلادنا أقدم من ميلادك

أنا حشوت النار في فؤادك

وبعد ذلك رجع الطفيل ومن معه من قومه، وكان عددهم أربع مئة رجل، فقابلوا الرسول (ﷺ) بالطائف[٢٠].

ويذكر ابن الجوزي أن جرير بن عبدالله البجلي (رضي الله عنه) قدم على الرسول (ﷺ) ببعض قومه بعد فتح مكة المكرمة ، فأسلموا وحسن إسلامهم . ثم رأَّسَ الرسول (ﷺ) جريراً على صحبه وطلب منهم هدم صنم ذي الخلصة في بلاد خثعم ، فلبى ما أمر به الرسول (ﷺ)[٢١] . ويشير ابن سعد في رواية أخرى عن جرير بن عبدالله بأنه قدم على الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة ومعه مئة وخمسون رجلاً من بجيلة فرحب به الرسول (ﷺ)

ومن معه ، ثم قال له بايعني ((على أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكـاة ، وتصوم رمضان ، وتنصح المسلمين ، وتطيع الوالي، وإن كان عبداً حبشيا"، فقال : جرير (نعم) فبايعه الرسول (ﷺ))) ، ثم سأله الرسول (ﷺ) عن أحوال ما وراءه في بلاد تهامة والسراة، فقال : ((يا رسول الله ، قد أظهر الله الإسلام ، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد[٢٢]، قال: ((فما فعل ذو الخلصة ؟ " قال " هو على حاله ، قد بقي والله مريح منه إن شاء الله))[٢٣].. فبعثه الرسول (ﷺ) إلى هدمه وعقد له لواء ومعه مئتان من قومه ، فذهب جرير ومن معه فهدموه ، ثم رجعوا إلى الرسول (ﷺ) فقال : ((يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد هدمته ، وأخذت ما عليه ، وأحرقته بالنار وتركته كما يسوء من يهوى هواه ، وما صدنا عنه أحد)) فسر الرسول (ﷺ) وبرّك على جرير وقومه[٢٤].

وتؤكد هذه الروايات أن الإسلام قد انتشر بين سكان بلاد تهامة والسراة، وأن مواطن الشرك وعبادة الأصنام أخذت في الزوال ، وينهض دليلاً قوياً على تواصل العلاقات بين هذه البلاد وبين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ما ذكرته المصادر التاريخية الإسلامية بإسهاب عن الوفود القادمة من بلاد تهامة والسراة مارة بالطائف ومكة المكرمة في طريقها نحو المدينة لإشهار إسلامها بين يدي الرسول (ﷺ) ، وقد استطعنا حصر ما يقرب من عشرين وفداً قدمت من بلاد تهامة والسراة ، الواقعة بين أرض الحجاز واليمن ، إلى المدينة المنورة ، ثم عادت تلك الوفود جميعها تعمل على نشر الإسلام بين سكان مواطنها الأصلية[٢٥] .

رابعاً - الصلات بين مكة المكرمة وبلاد تهامة والسراة في عصر الخلافة الراشدة والعصرين الأموي والعباسي :

ولم ينتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى إلا وأصبحت جميع أرض تهامة والسراة تدين بالإسلام ، بل صار بها بعض ولاة الرسول (ﷺ) الذين يقومون على إقامة وحفظ شعائر الإسلام في هذه البلاد . ومنذ عصر الرسول (ﷺ) ومكة المكرمة أصبحت إحدى ولايات الدولة الإسلامية التي عين عليها الرسول (ﷺ) أميراً من قبله ، وهكذا استمرت مكة المكرمة إحدى الولايات المهمة في شبه الجزيرة العربية خلال عهود الخلفاء الراشدين ، وخلفاء الدولتين الأموية والعباسية ، وبمراجعتنا كتب التاريخ الحولية وكذلك كتب التراجم ، والكتب المحلية لتاريخ مكة المكرمة نجد أن والي مكة المكرمة كان يعين من قبل الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وبني العباس ، ومهمته لم تكن محصورة على إمارة مكة وإنما في أغلب الأحيان تمتد إلى الطائف وبلاد تهامة والسراة ، وأحياناً أخرى تشمل بلاد اليمن واليمامة، وذلك حسب نفوذ وقوة الأمير المعين على مكة المكرمة(٢٦).
ونجد أن المصادر التاريخية تشير إلى أن والي مكة كان نادراً ما يذهب إلى أرض تهامة والسراة ، ولكن يصل جنوباً إلى بلدة الطائف ، ثم ينيب عنه من يتولى شؤون الحياة الإدارية والسياسية في تلك البلاد ، وغالباً ما كان أعيان وشيوخ القبائل هم الذين يسوسون الأمور الإدارية والسياسية في أوطانهم . وقد يعترفون اسمياً بوالي مكة المكرمة فيدفعون الزكاة للجباة الذين يرسلهم . وأحياناً قد تنتشر الفوضى في الحجاز وفي بلاد تهامة والسراة وجميع أجزاء جنوبي شبه الجزيرة العربية فلا يدفعون ما هو مفروض عليهم وقد انتشر ذلك إثر ضعف الدولة العباسية في عصرها

الثاني فأصبح ولاء كل عشيرة أو قبيلة إلى شيخها[٢٧]، يؤكد ذلك الرحالة المسلمون الذين وفدوا على شبه الجزيرة العربية وأشاروا إلى الأوضاع السياسية والإدارية في بلاد تهامة والسراة فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين ومنهم ناصر خسرو[٢٨]، وابن جبير[٢٩]، وابن المجاور[٣٠] حيث أوردوا في مدوناتهم عن تلك الديار وأهلها أنها تتكون من قبائل وفخوذ من العرب يُحكمون من قبل مشايخهم[٣١]، ويورد لنا ابن المجاور عدة تفصيلات دقيقة ينوه فيها عن طبيعة هذا الحكم فيذكر أنه يحكم على كل قرية شيخ من مشايخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لا يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم ، ثم يقول : ((وجميع من في هذه الأعمال - يقصد بلاد تهامة والسراة - لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون خراجاً ، ولا يسلمون قطعة ، وكل واحد منهم مع هوى نفسه..))[٣٢].

خامساً - أثر ضعف الخلافة الإسلامية على العلاقات بين المكيين والتهاميين والسرويين :

وهذه الهيمنة والاستبداد من قبل شيوخ القبائل على أفراد قبائلهم ، لم تنشط وتقوى شوكتهم إلا منذ بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي عندما بدأت تضعف السلطة المركزية بمقر الخلافة الإسلامية في بغداد أثناء عصر الخلافة العباسية ، وبداية هذا الضعف سار يمتد إلى الولايات الإسلامية ، ومكة المكرمة إحدى الولايات المهمة التي أصبح أمراؤها غير قادرين على حفظ الأمن وضبط الأحوال الإدارية لا في مكة المكرمة نفسها ولا في بلاد تهامة والسراة التابعة إدارياً لوالي مكة[٣٣]. ومن يستقرئ تاريخ بني العباس منذ القرن الثالث الهجري يجد أن كثيراً من

الأمصار الإسلامية بدأت تستقل اسمياً أو فعلياً عن مركز الخلافة وذلك بظهور بعض الأمراء الطامعين الذين عملوا على إقامة دويلات إسلامية يتولون إدارتها هم وذراريهم من بعدهم ، وبلاد تهامة والسراة المعنية في هذه الدراسة ربما لم تتوافر لديها المؤهلات التي تساعد على ظهور من يستقل بأمرها عن الدولة الإسلامية ، كما فعل آل زياد وآل يعفر والدولة الزيدية وغيرها في اليمن ، أو آل طاهر في بلاد فارس ، أو إبراهيم بن الأغلب والرستميون في بلاد المغرب(٣٤)، وإنما سادتهم الحروب والفوضى والفتن ، وذلك ما ذكره ابن المجاور عندما قال : ((لا يزال القتال دأبهم فيتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طول الدهر على هذا الفن ...))(٣٥).

بقيت مكة المكرمة مهمة من الناحية الدينية للتهاميين والسرويين ، لكن لم تعد المكانة السياسية ذات أهمية كبيرة لهم ، وذلك لما ساد العالم من صراعات سياسية وعقدية ، فالخلافة العباسية أصبحت تتراجع وتتدهور منذ القرن الثالث الهجري ، والخلافة الفاطمية أيضاً ظهرت في مصر وأصبحت تنافس خلفاء بني العباس وتسعى للسيطرة على الحرمين الشريفين ، وهكذا تعاقبت الظروف السياسية في العالم حتى ظهرت طبقات الهواشم في مكة المكرمة وصار همهم الكبير هو ما يدور من أحداث في مكة المكرمة خلال مواسم الحج(٣٦)، وكذلك ما نتج من أحداث سياسية مختلفة في العالم الإسلامي، وكيف أثرت وتأثرت بلاد مكة بتلك الأحداث، وبالتالي فقد صارت الصلات السياسية والإدارية بين كل من أهل مكة وبلاد تهامة والسراة شبه معدومة ، اللهم إلا أمثلة يسيرة بين بعض العشائر أو القبائل السروية والتهامية التي كانت على صلات ببعض أمراء مكة

الهاشميين الذين كانوا أحياناً يطلبون منهم العون والمدد المادي والمعنوي للصمود في وجه بعض الأحداث السياسية أو العسكرية المحلية التي كانت تحدث في مكة(٣٧). وكتب التاريخ المحلي لمكة المكرمة وبعض حواضر اليمن الكبرى تحوي بعضاً من تلك الأمثلة(٣٨).

أما الصلات التجارية بين المجتمعين المكي والتهامي والسروي، فقد استمرت مزدهرة على مر فترات التاريخ سواء في أوقات الضعف السياسي أو القوة، ساعد على ذلك عدة عوامل منها كون مكة المكرمة أحد الأسواق المعروفة عالمياً في منطقة الشرق الأدنى، وكذلك ما تميزت به بلاد أرض تهامة والسراة من وفرة وغنى في خيراتها، وتنوع ما تنتجه أراضيها، وحاجة أهلها إلى أسواق مكة لتصدير وبيع ما يفيض عن حاجتهم ، واستيراد ما يتوافر بأسواقها مما يحتاجون إليه لتسيير حياتهم وسُبل معيشتهم(٣٩).

ويؤكد ما ذهبنا إليه ما ورد في مصنفات الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل مثل : الهمداني ، وابن خرداذبة ، وابن الفقيه ، وقدامة ، وابن حوقل، والاصطخري ، والإدريسي، وأبو الفداء ، وابن فضل الله العُمري وغيرهم حيث يشيرون في مواضع عديدة من مدوناتهم إلى تنوع المزروعات والمحصولات النباتية والزراعية في بلاد تهامة والسراة حتى إنها كانت تفيض عن حاجاتهم وتصدر إلى أسواق عديدة في شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة أسواق الطائف ومكة المكرمة(٤٠)، كما أفاضت مصادر أخرى الحديث عن الثروة الحيوانية وتنوعها بأرض تهامة والسراة والتي كان كثير منها يصدر إلى أسواق الحجاز(٤١).

وتتابع المصادر على اختلافها الحديث عن عمق العلاقات الاقتصادية والتجارية القائمة بين سكان هذه البلاد وأهل الحجاز، وبخاصة مكة المكرمة

فيذكر لنا ابن حبيب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) (٤٢) أن التهاميين والسرويين كانوا يرتادون بسلعهم أسواق مكة، لا سيما السلع الغذائية، فيجدون حسن الاستقبال والترحاب من المكيين، وبخاصة تجارهم، وذلك لجودة ما جلبوا من سلع قيمة(٤٣). كما يشير الأزرقي أيضاً وهو من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى تعيين مكان محدد في أسواق مكة كانت ترتاده عير أهل تهامة والسراة فتقيم به مدة إقامتها وممارستها التجارة في مكة المكرمة(٤٤). ويأتي ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فيذكر نشاط التهاميين والسرويين التجاري في مكة، وما يجلبون معهم من حبوب وسلع متنوعة يقايضونها بما يفيض بأسواق مكة من سلع لا تتوافر ببلادهم(٤٥). كما يورد ابن جبير تفصيلات أخرى دقيقة عن تجار هذه البلاد الوافدين إلى مكة المكرمة . ومعاملاتهم التجارية مع المكيين(٤٦)، مما ينهض دليلاً على تواصل هذا النشاط التجاري بين الطرفين، والدور المهم الذي قام به أهل تهامة والسراة في تزويد الحجازيين وأسواقهم بما ينقصهم من السلع الضرورية فيقول: ((إن قبائل تعرف بالسرو أو السراة ، أهل جبال حصينة يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء إلى ما دونها. ويجلبون السمن ، والعسل ، والزبيب ، واللوز فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة ، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر، فيرغدون معايش أهل البلد، والمجاورين فيه، وينفقون ويدخرون، وترخص الأسعار ، وتعم المرافق ، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى ، ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش))(٤٧).

ويضيف ابن جبير قائلاً : ((ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم ، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل ، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان ، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ، ويبايعونهم به ويشارونهم ، ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجدب ، ويقع الموتان في مواشيهم وأنعامهم ، وبوصولهم بها تخصب بلادهم وتقع البركة في أموالهم))[٤٨].

ويؤكد ابن بطوطة في رحلته على ما ذكره ابن جبير[٤٩]، فيقول : ((وأهل الجهات الموالية لمكة - من الناحية الجنوبية - وزهران ، وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ، ويجلبون إلى مكة الحبوب ، والسمن ، والعسل ، والزبيب ، والزيت ، واللوز فترخص الأسعار بمكة ، ويرغد عيش أهلها ، وتعمهم المرافق))[٥٠] ، ويضيف ابن المجاور إلى ما سبق قوله: ((فإذا دخلوا مكة ملؤوها خبزاً من الحنطة، والشعير، والسويق، والسمن، والعسل ، والذرة ، والدخن , واللوز, والزبيب ، وما شابه ذلك ، وكذلك يقول أهل مكة : حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب ، والسرو أمنا نكسب منهم القوت))[٥١].

وقد ظل هذا النشاط التجاري متواصلاً إلى عهد قريب فكنا نرى أهل تهامة والسراة يسوقون مواشيهم ويحملون بعض سلعهم إلى أسواق مكة في مواسم الحج كي يبيعوها هناك ويستبدلوا بأثمانها سلعاً أخرى تفيدهم في حياتهم اليومية، كالألبسة المختلفة، وأدوات الزينة والطعام وما شابهها[٥٢].

سادساً - التواصل الفكري بين مكة المكرمة وبلاد تهامة والسراة :

كذلك لا تخلو مجتمعات مكة المكرمة وبلاد تهامة والسراة من بعض الصلات الحضارية المتمثلة في التواصل العلمي والفكري ، لأن مكة أساساً مدينة دينية منذ القدم ، ثم زادت شهرتها الدينية بعد دخول أهلها في الإسلام في السنة الثامنة للهجرة ، وبالتالي فقد صارت محطة لكثير من العلماء والفقهاء والأدباء الذين كانوا يفدون إليها لقضاء مناسك الحج والعمرة ثم البقاء بها للعلم والتعلم(٥٣). وأرض تهامة والسراة المجاورة لأرض مكة من الجنوب لم تكن في نفس المستوى العلمي والفكري الذي عرفته مكة خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وإن كانت لا تخلو من بعض الملامح العلمية الفكرية ، ومن ثم كانت في حاجة إلى الثراء الفكري والعلمي الذي اشتهرت به مكة المكرمة ، وأفضل من صور لنا المجتمع التهامي والسروي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني (يرحمه الله)(٥٤). حيث أورد لنا بعض المعلومات عن الحياة العلمية والفكرية في بلاد السراة الممتدة من نجران جنوباً حتى الطائف شمالاً ، ويشير إلى الجانب اللغوي عند سكان تلك البلاد في عصره ، ثم يقارنه بالجوانب اللغوية الأخرى عند أهل تهامة واليمن والكثير من مناطق شبه الجزيرة العربية(٥٥).

ويخلص إلى أن أهل السراة أكثر فصاحة في القول ، وسلامة في اللغة حيث يقول : ((الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد، فبني الحارث مما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام ، فأرض سنحان . فأرض نهد وبني أسامة فعنز ، فخثعم فهلال فعامر بن ربيعة، فسراة الحجر (بلاد بلحمر . وبللسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو) فدوس،

فغامد ، فشكر ، ففهم ، فثقيف ، فبجيلـــة ، فبني علي ، غير أن أسافل سروات هذه القبـائل ما بين سـروات خـولان والطـائف دون أعـاليهـا في الفصاحة))[٥٦].

وعلى رغم ما ذكره الهمداني من معلومات جيدة عن المستوى اللغوي لأهل هذه البلاد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)، إلا أنه للأسف لم يدون لنا شيئاً يذكر عن نشاطهم العلمي والفكري في بلادهم بصفته عالماً يمنياً كان يمر عبر بلادهم ذاهباً آيباً ما بين صنعاء ومكة المكرمة ، ولكن في اعتقادنا أنهم لم يصلوا إلى المستوى اللغوي الذي ذكرهم به إلا ولديهم نشاط علمي وفكري ، ونجزم أنه كان بينهم علماء وفقهاء وقضاة وشعراء وغيرهم من أرباب العلم ودليلنا على ذلك نشاط الثقافة الإسلامية في بلادهم منذ عهد الرسول (ﷺ) فكان أهل البلاد يفدون على الرسول الكريم في المدينة المنورة ليتعلموا ويتفقهوا على يديه ثم يعودون إلى أوطانهم ليعلموا أهلها ما تعلموا من شرائع الإسلام ، بل كان الرسول (ﷺ) شديد الحرص على إرسال بعض كبار صحابته (رضوان الله عليهم) إلى أهل تهامة والسراة واليمن ليفقهوهم ويعلموهم شرائع الدين . وجاء من بعد الرسول (ﷺ) الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) فساروا على نهجه في إرسال العلماء والفقهاء والولاة والقضاة ورجال الحسبة إلى كل جزء من أجزاء الدولة الإسلامية ، وبالتالي فبلاد تهامة والسراة لا بد أنها نالت قسطاً من الحياة العلمية والفكرية في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي عهد دولتي بني أمية وبني العباس ، ولو أن المصادر التاريخية المبكرة لا توضح لنا ذلك ، والسبب هو عدم اهتمام المؤلفين الأوائل بالكتابة عن الأجزاء النائية والبعيدة عن المراكز الحضارية

الكبيرة في العالم الإسلامي ، ومنطقة السراة وتهامة إحدى هذه الديار النائية والمعزولة .

وعلى رغم هذا القصور من جانب الهمداني ، إلا أنه يُعد أفضل من أشار إلى أحوال هذه البلاد في عصره(٥٧)، حيث ذكر ظهور بعض الشعراء والأدباء أيضاً ببلاد تهامة والسراة وأورد أن بعضهم كانوا يذهبون إلى حواضر الحجاز الكبرى ليلتقوا بعض الأدباء والشعراء هناك فيتسامرون ويتبارون معهم في قرض الشعر ، ومن أبرز الشعراء الذين عرفناهم من الهمداني الشاعر أبو الحياش الحجري الذي ينتسب إلى الحجر بن الهنو ببلاد سراة الحجر والذي ورد ذكره أثناء تجمع بعض الشعراء من نجد والحجاز و تهامة والسراة في مكة المكرمة ، وكان أبو الحياش يمثل أهل تهامة والسراة . عندما طغى على الناس القحط وقلة الأمطار ، فأنشد الشعراء قصائد شعرية ليتوسلوا فيها إلى الله جل جلاله طالبين الرحمة والغيث . وقد ذكر الهمداني بعض تلك القصائد التي قالها الشعراء المختلفون في مكة المكرمة(٥٨). وأورد القصيدة التي قالها أبو الحياش ، فقال في مطلعها :

رب ما خاب من دعاك ولا يحـ   جب يا ذا الجلال عنك الدعاءُ
لم يخب للنبي يعقوب يا ذا الـ   عرش فيما دعا لديك الرجاءُ
رب أنت الذي رددت عليـه   بصراً كان قد محاه البكاءٌ (٥٩)

ثم جاء إلى وصف الأرض التي عمها القحط فكان أغلب ما ذكر مواطن ببلاد تهامة والسراة . فقال :

رحمة منك هب لنا إننا نحـ ـن لك - اللـه - أعبدٌ وإمـاءُ

إن هاتا لأزمة عمت النا س ومستهُمُ لها البأساءُ

ولكم ثم كم سقيت لنا الأر ض غيوثاً أتت بها الأنواءُ

سقيت برهة قرى خلب منـ ـها فجازان تلك فالصبياءُ

فقرى بيش، فالدويمات فالبر ك فحلي ممطورة غيناءُ

ومن الطود فالزتامات خضر رويت فالتنومة الزهراءُ

فقرى الحجر جهوة الزرع والضرع فأشجانها الحنا فالجباء

فجبال السراة فالفرع الوسـ ـطي حكين الجنات فالحيفاءُ

فالذرى من سراة غامد فالنمـ ـر فأجبال دوسها طخياءُ

فقرى الدارتين أرض علـى سهلها والجبال منها الماءُ

فقنونا فأرض دوقة فالليـ ـث فعشم السرين فالسراءُ (٦٠)

ويستنتج القارئ الكريم من قراءته لهذه الأبيات حرص الشاعر أبي الحياش على ذكر أسماء بعض الأماكن والمواقع في بلاده (أرض تهامة والسراة) وقد حاول عد بعضها مثل: تنومة، والجهوة ، والأشجان ، التي تقع ببلاد بني شهر (أرض رجال الحجر) وهي مسقط رأس الشاعر، كذلك ذكر مواقع أخرى عديدة في تهامة والسراة، مثل بيش، والبرك، وحلي، وجازان، وصبياء، وقنونا، ودوقة، والليث ، وعشم، والسرين، وسراة غامد وغيرها.

وذكر هذه الأماكن يدل على معرفة الشاعر بتلك الأماكن ، وعلى حرصه وصبغ عاطفته عليها راجياً من الله أن يشملها برحمته بنزول الغيث

والخير عليها ، كما يستخلص أيضاً من مشاركة الشاعر أبي الحياش مع غيره من شعراء شبه الجزيرة العربية أن بلاده خاصة وبلاد تهامة والسراة عامة كانت غير خالية من العلماء والأدباء والشعراء ، ولو لم يكن ذلك لما كان هذا الشاعر السروي قد قام وأخذ نصيب المشاركة مع غيره من الشعراء ، وبخاصة في حاضرة مكة المكرمة التي عرف عنها النشاط الفكري والثقافي منذ عهود قديمة .

وبقيت بلاد الحجاز ، وبخاصة مكة المكرمة ، قريبة إلى أهل تهامة والسراة جسماً وروحاً ، فلم يقتصر التهاميون والسرويون على الذهاب إلى مكة المكرمة للحج والعمرة فقط وإنما كان بعضهم يبقى هناك للاستزادة من العلوم والمعارف التي تؤهله عند العودة إلى موطنه الأصلي للجلوس للتدريس أو الافتاء والوعظ والإرشاد(٦١)، ونجد بعض المصادر ، وكثير من الوثائق التاريخية تشير إلى عدد من العلماء والأدباء والفقهاء الذين برزوا في أرض تهامة والسراة خلال القرون الأربعة الماضية ، وكانت مواطنهم منتشرة من الطائف حتى نجران ، وأغلبهم ذهبوا إلى مدن الحجاز الرئيسة أو إلى اليمن للتعلم على أيدي بعض الفقهاء والعلماء هناك ، ثم عادوا إلى بلادهم لممارسة مهنة التدريس وإرشاد الناس إلى أمور عقيدتهم(٦٢)، وقد شاهدت أثناء جولاتي في بلاد تهامة والسراة خلال العقدين الماضيين وجود عدد من البيوت العلمية التي يعود تاريخها إلى القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (السادس عشر و السابع عشر الميلاديين)، وكان بعض أفراد تلك البيوت ممن تعلموا بالمسجد الحرام ، ثم عادوا إلى أوطانهم ومعهم بعض كتبهم التي قرأوها على شيوخهم ، وكذلك بعض الإجازات العلمية التي حصلوا عليها أثناء إقامتهم في مكة المكرمة(٦٣).

وكون مكة المكرمة موطن فكر وثقافة من قديم الزمن، فإننا نجد رجالها كان لهم قصب السبق في رسم الخطط العلمية والإدارية والفكرية أثناء بناء الدولة السعودية الحالية، وذلك يتضح من خلال الوثائق التاريخية حيث إن أغلب رجال التعليم والإدارة والتخطيط والنواحي المالية في بلاد تهامة والسراة من عام (١٣٣٨ ـ ١٣٧٠هـ) كانوا من أهل الحجاز وخاصة مكة المكرمة[٦٤]، ولو أفردنا دراسة خاصة لهذه الناحية وحدها لوجدنا أسماء عدد كثير من الرجال الذين قدموا إلى أرض تهامة والسراة مثل: الباحة، وبيشة ، والنماص، وأبها، وخميس مشيط ، ونجران ، وجازان، والقنفذة والليث والبرك وبيش وصبيا وغيرها، حيث تولوا كثير من المناصب الإدارية في هذا الجزء من بلادنا الغالية (المملكة العربية السعودية)[٦٥].

الخاتمـة :

وخلاصة القول إن الصلات الحضارية بين كل من بلاد مكة المكرمة وبلاد تهامة والسراة ترجع إلى عهود قديمة سابقة على الإسلام ، ومع ظهور الإسلام واعتناق أهل تهامة والسراة له نشطت وازدهرت هذه الصلات ولم تقتصر على الصلات الدينية ، بل شملت العديد من الجوانب الحضارية الأخرى وفي مقدمتها الصلات التجارية والصلات الفكرية والعلمية والإدارية ، وكان ذلك التواصل الشامل بين المجتمعين وهذه الصلات أمراً طبيعياً لأن كل واحد منهما يكمل الآخر بحكم الاتصال الجغرافي ، وكذلك بحكم المنزلة الدينية لمكة المكرمة وتوفر المواد الاقتصادية ، وخاصة المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية في أرض تهامة والسراة . وهي كلها أمور حتمت على المجتمعين أن يكونا على اتصال دائم ومستمر .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ... والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

الإحالات والمراجع والمصادر

(*) أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة الملك خالد.

(١) مكة المكرمة : هي المدينة المقدسة الأولى عند المسلمين بها الكعبة المشرفة، وبها ولد النبي محمد بن عبدالله (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) ونزل عليه جزء كبير من الوحي. للمزيد من التفصيلات عن تاريخ هذه المدينة المقدسة، انظر: الأسدي، أحمد محمد، **اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام**، مخطوط مصور في ميكروفيلم رقم (٢٨) بجامعة أم القرى مركز البحث العلمي (مكة المكرمة)؛ دحلان، أحمد بن زيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام** (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٧م)؛ ابن فهد، عمر بن محمد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت (القاهرة : مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٧٥هـ) (جزءان) : القرشي، عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي، **غاية المرام بأخبار سلطة البلد الحرام**، تحقيق فهيم محمد شلتوت (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) (ثلاثة أجزاء).

(٢) هناك العديد من المصادر والمراجع تعرضت لبلاد السراة من حيث حدودها ومسمياتها ، وللمزيد من التوضيحات انظر ، الهمداني، الحسن بن أحمد، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٧ ، ١٠٠: الجاسر، حمد، **في سراة غامد وزهران** (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ /١٩٧١م) ص ٣٥٣ وما بعدها؛ بن جريس، غيثان بن علي. **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** (ق١ . ق١٠هـ /ق٧م . ق١٦م) (جدة : وكالة الرواد ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) (الجزء الأول) ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) وللمزيد من الشروحات عن حدود الحجاز وما ذُكر عنها في كتب التراث انظر مقالتي: الوهيبي، عبدالله، "الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب" **مجلة كلية الآداب**، (جامعة الرياض: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) جـ١، ص ٥٣ ـ ٧٠؛ العلي، صالح أحمد، "تحديد الحجاز عند المتقدمين" **مجلة العرب** (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) جـ١ ص ١ ـ ٩؛ وللمزيد أيضاً انظر، بن جريس، غيثان بن علي، "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني"، **الدارة** ، عدد (٣) سنة (١٩) (١٤١٤هـ /١٩٩٣م) ص ٧٦ ـ ١١١ .

(٤) وما زالت أغلب هذه السروات المذكورة تستوطن بالقبائل والعشائر التي سميت بها كل سراة . ويستنتج من ذلك أن الأرض كانت وما زالت تنسب إلى من يسكنها ، فمثلاً : سراة مذحج (قحطان) أو جنب (عسير) أو الحجر (بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو) عُرفت بهذه الأسماء لأن هذه القبائل استوطنت سرواتها منذ أمد بعيد ، فعرفت الأرض باسم القبيلة ونسبت إليها ، وهكذا حدث مع بقية القبائل والسروات الأخرى .

(٥) التنقل والترحال من عادات العرب القديمة ، بل انتقال الفخذ أو العشيرة من مكان إلى مكان كان من الحالات المألوفة عند البدوي منذ عهود قديمة ، إلى جانب وجود أسباب أخرى تجعل بعض العشائر ترحل من مواطنها الأصلية إلى مواطن أخرى ، كأن تهاجم قبيلة قوية أخرى ضعيفة فتجبرها على الرحيل ، أو ترحل بعض العشائر ، وبخاصة البدوية منها من مكان لآخر بحثاً عن الماء والعشب الذي يفيدها في رعي مواشيها ، أو حدوث نوع من الخصومة والشقاق بين أفراد العشيرة الواحدة ، مما يودي إلى خروج بعضهم من مواطن العشيرة الأساسية والبحث عن مكان آخر يعيشون به ، وما نلاحظ في بلاد تهامة والسراة من تشابه في بعض أسماء القرى والأفخاذ المتفرقة ، أو من توزع بعض أفراد القبيلة أو الفخذ الواحد في أكثر من مكان ، سواء كان بالأجزاء السروية المرتفعة ، أو بالهضاب والأودية الشرقية أو ببعض الأجزاء الساحلية التهامية ، ليس إلاّ ناتجاً من حدوث بعض الأسباب الآنفة الذكر ، والتي عاشها ومارسها سكان تلك البلاد منذ أزمنة بعيدة . للمزيد انظر علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (بيروت : دار العلم للملايين؛ وبغداد: مكتبة النهضة ، ١٩٧٧م) جـ٤ ، ص١٥٨ وما بعدها ؛ كما يوجد لدى الباحث عشرات الوثائق التي تعود إلى القرون الثلاثة الماضية ، وهي تعكس الأحلاف القبلية في بلاد السراة ، بل بعضها يؤكد على صلات النسب بين بعض القبائل والعشائر المنتشرة في المنطقة الممتدة من جازان ونجران جنوباً إلى الطائف ومكة المكرمة شمالاً . كما شاهد الباحث أيضاً تلك الصلات والتداخلات بين العشائر في تلك البلاد أثناء قيامه بجولات عديدة في أرجائها خلال العام الدراسي (١٤١٦ ـ ١٤١٧هـ /١٩٩٦ ـ ١٩٩٧م) .

(٦) رفعت باشا، إبراهيم، **مرآة الحرمين** (د.ن ، د.ت) جزءان؛ البلادي، عاتق بن غيث، **بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات** (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) ص٩ وما بعدها . ومن يتجول في أنحاء بلاد تهامة السراة وكذلك في جبال ووهاد مكة المكرمة يجد الفرق ملموساً والاختلاف في المناخ والتضاريس واضحاً .

(٧) العلي، صالح أحمد، "طرق المواصلات القديمة في الحجاز" **مجلة العرب** (١٩٦٨م) جـ٩، ص ٩٦٣ وما بعدها،

P.Crone, **Maccan Trade and the Rise of Islam** (Oxford , 1987) PP.23ff; eliyaha Ashtor, **A social and economic History of the Near East in the Middle Ages** (London, 1976) PP.75 ff .

(٨) القرآن الكريم ، سورة قريش ، وللمزيد من التفصيلات عن الطرق التجارية الواصلة بين مكة المكرمة وبلاد تهامة و السراة حتى أرض اليمن ، انظر ابن جريس، غيثان بن علي، "ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " منشور ضمن أعمال ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة والتي عقدت في (٢٥ . ٢٧ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ٢١ . ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠م) ، وقد نشرت ضمن أعمال الندوة في كتاب، **طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ** (القاهرة: حصاد رقم (٨)، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م) ص ١٥٧ . ٢٢٢ .

(٩) عن بداية عهد الرسالة الإسلامية في مكة المكرمة ، وما قامت به قريش والقبائل العربية الأخرى من عناد وتصدي للرسول (ﷺ) وما جاء به من القرآن الكريم ، وما كان يدعو به في الناس . انظر عشرات المصادر الرئيسة من **التفاسير**، **وكتب السنن** ، **كالصحاح** وما شابهها . وكذلك كتب **السير والمغازي** وهي كثيرة جداً .

(١٠) قبيلة قريش كانت مرهوبة الجانب لمكانتها السياسية والدينية في مكة المكرمة ، بل في شبه الجزيرة العربية ، وكذلك كانت ذات صلات تجارية واسعة داخل الجزيرة العربية وخارجها . ولهذا فإن جميع القبائل العربية كانت تنظر إليها بعين الاحترام والتقدير . وعندما خرج الرسول (ﷺ) بين قومه في قريش وناداهم إلى الدخول في الإسلام حاربوه وتصدوا له . بل وحرّضوا القبائل العربية الأخرى عليه ، وقد استجابت كثير من القبائل لقريش فلم يناصروا الرسول (ﷺ) وإنما بعضها حاربته كقبائل ثقيف بالطائف وغيرها ، وأخرى وقفت منه موقف الحياد . كالقبائل التهامية السروية ، وبقوا على ذلك حتى انهارت قبائل قريش وانهزمت أمام انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية .

(١١) وللمزيد عن صلات أهل تهامة السراة بالرسول (ﷺ) في بداية ظهوره في مكة المكرمة ، ثم دخول بعض التهاميين و السرويين ، كالطفيل بن عمرو الدوسي ، وضماد الأزدي ، إلى الإسلام أثناء مرحلة الدعوة المكية . انظر، البغدادي، محمد بن حبيب، **كتاب المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ١٩٩ . ٢١١؛ ابن الجوزي، جمال الدين، **صفة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي جـ١. (حلب : دار الوعي ، ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م) ص٦٠٠ . ٦٠٤؛ ابن الأثير، عز الدين، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** جـ٣. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ص٥٤ . ٥٥ .

(١٢) المصادر نفسها .

(١٣) بلدة تُربَة : بالضم ثم الفتح . تقع إلى الجنوب من مدينة الطائف بحوالي مئة كيلومتر ، وبها واد فحل يسمى " وادي تربة " وتنحدر مياهه من أعالي بلاد السراة نحو الأجزاء الشرقية . ويسكن على ضفافه عديد من الأفخاذ والعشائر التي تمتهن الزراعة ومزاولة

بعض الأعمال التجارية الأخرى. ياقوت الحموي، شهاب الدين، **معجم البلدان**، جـ٢، (بيروت: دار صادر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص٢١ ؛ البلادي، عاتق بن غيث، **بين مكة وحضرموت**، ص١١ .

(١٤) الواقدي، محمد بن عمر، **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، جـ٢، (بيروت: عالم الكتب. د. ت) ص ٧٢٢؛ المسعودي، علي بن الحسين، **التنبيه والإشراف**، (بيروت : دار مكتبة الهلال ، ١٩٨١م) ص٢٤٣؛ بن خياط، خليفة، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري (الرياض : دار طيبة للنشر والوزيع ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) ص ٧٨ .

(١٥) يذكر أن الطفيل قدم مع قومه إلى المدينة، فوجد الرسول (ﷺ) قد ذهب إلى خيبر لفتحها فلحق به هناك، وللمزيد من التفصيل، الواقدي، **المغازي**، جـ٢، ص٦٨٣؛ بن هشام، عبدالملك، **السيرة النبوية**، حققه وشرحه ، مصطفى السقا وآخرون، جـ٢، (بيروت : دار القلم، د. ت) ص٢١ ـ ٢٥ ؛ بن القيم، شمس الدين محمد، **زاد المعاد في هدى خير العباد**، تحقيق شعيب بن الأرنؤوط وآخرون، جـ٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م) ص٦٢٤ ـ ٦٢٨ .

(١٦) من استقراء تاريخ السيرة النبوية نجد أن المشركين كانوا يتراجعون إلى الوراء منذ ظهور الرسول (ﷺ) في المدينة ، ولكن سقوط حظهم لم يصبح واضحاً للعيان إلا بعد معركة بدر ، ثم تتالت عليهم أحداث الفشل والخيبة حتى السنة السادسة للهجرة ، وذلك عندما عقدوا ما يسمى بـ (صلح الحديبية) مع الرسول (ﷺ) وصحابته (رضي الله عنهم) ، ومن بعد ذلك التاريخ لم يعمروا طويلاً حتى جاءت السنة الثامنة للهجرة فدخل المسلمون مكة المكرمة ، وقضي على المشركين في عقر دارهم .

(١٧) من الوفود التي وفدت على الرسول (ﷺ) من بلاد تهامة والسراة وفد الأزد، وفد بجيلة، وفد بارق ، وفد خثعم ، وفد ثمالة ، وفد غامد ، وفد دوس ، وغيرها كثير . للمزيد من التفصيلات، بن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، جـ١، (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) ص٣٢١ ـ ٣٥٩ .

(١٨) أي ذو الصورة والشكل الحسن ، أو ذو الوقار . وتقول هئت للأمر أهي . هيئة ، وتهيأت تهيوا ، والهيئة : الشارة ، فيقال فلان حسن الهيئة. ابن منظور، **لسان العرب**، وفعل "هيأ" جـ١٥ ، ص١٧٠ (طبعة بيروت) .

(١٩) الواقدي ، **المغازي**، جـ٣ ، ص٩٢٣ .

(٢٠) وللمزيد من التفصيل عن محاربة الطفيل للوثنيين في بلاد دوس ، الواقدي، **المغازي**، جـ٣ ، ص٩٢٣؛ ابن الجوزي ، **صفة** ، جـ١ ، ص٦٠٣ ؛ الجاسر، **في سراة غامد**، ص ٣٢٤: المسعودي ، **التنبيه**، ص٢٤٩ ؛ ابن سعد، **الطبقات**، جـ٢ ، ص١٥٧ ، ابن هشام، **السيرة**،

جـ٢ ، ص٢١ ـ ٢٥ . ويذكر أن الطفيل عاد من بلاد دوس مع قومه ومعه دبابة ومنجنيق ، فقال لهم الرسول (ﷺ) "يا معشر الأزد من يحمل رايتكم؟ فقال الطفيل: من كان يحملها في الجاهلية، فقال: أصبتم" وقيل إن الذي كان يحمل الراية في الجاهلية أخو: النعمان ابن الزرافة اللهبي ، وهذا ما ذكر الواقدي ، أما ابن سعد فذكر أنه (النعمان بن بازية اللهبي)؛ وذكر ابن عبدالبر في كتاب **الاستيعاب** ، أنه (النعمان بن الزراع عريف الأزد)؛ انظر الواقدي، **المغازي**، جـ٣، ص٩٢٣، انظر أيضاً ملاحظة (٤) في نفس الصفحة المذكورة آنفاً ، ابن سعد ، **الطبقات**، جـ٢، ص١٥٧ ـ ١٥٨، البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، مج٣، جـ٥، (بيروت: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت) ، ص١٢٢ .

(٢١) ابن الجوزي، **صفة الصفوة** ، جـ١، ص٧٤١. وصنم ذو الخلصة كان لدوس، وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلاد السراة ، بل وكان يعرف بالكعبة اليمانية ، وكان يحج إليه أعداد كثيرة من الناس؛ وللمزيد من التوضيحات، ابن هشام، **السيرة**، جـ١، ص٨٨؛ ابن الجوزي، **صفة**، جـ١، ص٧٤١؛ البخاري، **الصحيح**، مج٣ ، جـ٥ ، ص١١١ ـ ١١٢ ، مج٤ ، جـ٨ ، ص١٠٠؛ الأزرقي، محمد بن عبدالله، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**. تحقيق رشدي ملحس. جـ١. ط٤. (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص٣٧٤ ، ٣٨٩. ويذكر أن صنم ذو الخلصة أعيد بناؤه بعد القرن العاشر الهجري، وربما من قبل ذلك ، وبقي على حاله حتى زمن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، حيث ذكر ابن بشر في حوادث (١٢٣٠هـ) أن رجال عبدالعزيز بن محمد بن سعود حاربوا الترك في بلاد بيشة وخثعم ودوس وغامد حتى وصلوا صنم ذي الخلصة فهدموه وأحرقوه. ابن بشر، عثمان، **عنوان المجد في تاريخ نجد**. جـ١، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د. ت)، ص١٨١ ـ ١٨٢ .

(٢٢) ويتضح من هذه العبارات . أن الإسلام أصبح منتشراً عند أهل تهامة والسراة ، حتى إن القبائل السروية والتهامية قامت بهدم الأصنام التي كانت تعبد من دون الله ، وصاروا يوحدون الواحد القهار في مساجدهم وصلواتهم وجميع تصرفاتهم .

(٢٣) البخاري، **الصحيح**، مج٣، جـ٥ ، ص١١١ ـ ١١٢؛ الأزرقي ، **أخبار مكة** ، جـ١ ، ص٣٨٠ ؛ ابن سعد . **الطبقات** ، جـ١ ، ص٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٢٤) المصادر نفسها .

(٢٥) للمزيد من التفصيلات عن تلك الوفود ، ابن سعد، **الطبقات**، جـ١ ، ص٣٢١ ـ ٣٥٩ ؛ ابن هشام، **السيرة**، جـ٤، ص٢٣٠ ـ ٢٣٤ ؛ ابن القيم، **زاد المعاد**، جـ٣، ص٦٢٠ ـ ٦٢١؛ الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك** . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، جـ٣، (بيروت: دار سويدان ، ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م) ، ص١٣٠ ـ ١٣١ ، ١٣٤ ـ ١٣٦؛ حميد الله، محمد، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٢٤١، ٢٩٠ ـ ٢٩١؛ بن جريس، غيثان بن علي، "تاريخ مخلاف جرش

خلال القرون الإسلامية الأولى " **العصور**، مج ٩ جـ١ (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص٦٣ وما بعدها؛ ابن جريس، **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة**، جـ١، ص٢٣ ـ ٥٤؛ ابن جريس، **نجران دراسة تاريخية حضارية** (ق١-ق٤هـ/ ق٧- ق١٠ م)، ج١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م) ص ٦٢ وما بعدها.

(٢٦) لمزيد من التفصيلات عن وضع مكة المكرمة الإداري خلال القرون الإسلامية الأولى، وكيف كان بعض ولاة مكة ذا نفوذ قوي فلا تقتصر إمارته على الحجاز فقط وإنما تمتد أحياناً إلى اليمن واليمامة، دلال، عبدالواحد محمد راغب، **البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران - العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية**، جـ١ (القاهرة : دار التعاون للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص ٢٢٧ وما بعدها.

Abbasid Ghithan A.Jrais. " The Governorship in the Hijaz During the Early Vol. (7) part (1) **العصور** The Ages/ Period (132-232.A.H./749-846G) " (1412/1992)pp.13-21 .

وللمزيد ابن جريس، **نجران**، ج١، ص ٦٢ وما بعدها.

(٢٧) المصادر نفسها. انظر أيضاً ابن فهد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، جـ٢، ص٢٤٦ وما بعدها، السباعي، أحمد، **تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران** (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م) ص١٣٦ وما بعدها.

(٢٨) خسرو، أبو معين الدين ناصر، **سفر نامة (رحلة ناصر خسرو)**. ترجمه من الفارسية وحققه، أحمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود ١٩٨٣م) ص ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢٩) ابن جبير، محمد بن أحمد، **رحلة ابن جبير**، (بيروت: دار الكتب. د.ت) ص١٠٢ وما بعدها.

(٣٠) ابن المجاور، جمال الدين يوسف، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر**. تحقيق أو لوفغرين، جـ١، (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١ ـ ١٩٥٤م) ص٢٦.

(٣١) المصادر نفسها التي وردت في حواشي (٢٨، ٢٩، ٣٠).

(٣٢) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن**، جـ١، ص٢٦، ٢٧.

(٣٣) لمزيد من التفصيلات انظر، السباعي، تاريخ مكة، ص١٣٧ وما بعدها؛ الزيلعي، أحمد عمر، **مكة وعلاقاتها الخارجية** (٣٠١ ـ ٤٨٧هـ) (الرياض: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٢٠ وما بعدها.

(٣٤) للاطلاع على توضيحات أكثر عن تلك الدويلات الإسلامية التي ظهرت في شرق العالم الإسلامي وغربه، انظر كتب التاريخ الحولية مثل : الطبري، و ابن الأثير، وابن كثير فقد ورد بها تفصيلات وافية عن أسباب وأحداث ونتائج ظهور تلك الدويلات على مر التاريخ الإسلامي الوسيط.

(٣٥) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن**، جـ١ ، ص٢٧ .

(٣٦) عن تاريخ مكة المكرمة السياسي والحضاري خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، الأزرقي ، **أخبار مكة** (جزءان) ؛ الفاسي، تقي الدين محمد، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق لجنة من كبار العلماء، (جزءان) (بيروت: دار الكتب العلمية ، د. ت) ؛ السباعي، **تاريخ مكة**، ص٦٥ وما بعدها؛ الزيلعي ، **مكة وعلاقاتها الخارجية** ، ص٢٠ وما بعدها.

(٣٧) المصادر نفسها .

(٣٨) المصادر نفسها، لابن فهد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**؛ القرشي ، **غاية المرام بأخبار سلطة البلد الحرام** ؛ القرشي، عبدالعزيز بن عمر بن فهد الهاشمي، ومؤلفات أخرى عديدة لمؤرخين مكيين ويمنيين، انظر، الهيلة، محمد الحبيب، **التاريخ والمؤرخون بمكة (من القرن (٣ هـ) إلى القرن (١٣هـ)** (مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، د. ت) (بيروت : دار العرب الإسلامي ، د.ت) ص ٣٠ وما بعدها .

(٣٩) الزيلعي ، **مكة وعلاقاتها الخارجية** ، ص ١٥٥ وما بعدها؛ ابن جريس. "**ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة** " ص١٦٠ وما بعدها: ابن جريس، **دراسات في تاريخ تهامة والسراة** ، جـ١ ص٢٣٧ وما بعدها ، ابن جريس، **نجران**، ج١، ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٤٠) الهمداني، **صفة**، ص٦٠ وما بعدها ، الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، **كتاب البلدان**، تحقيق أم . دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٢هـ /١٨٨٤م) ص٣١ وما بعدها ، بن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله، **المسالك والممالك**، تحقيق أم . دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ /١٨٨٩م) ص ١٢٣ وما بعدها ؛ قدامة، أبو الفرج، **نبذ من كتاب الخراج** ، ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة . تحقيق أم . دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ /١٨٨٩م) ص١٨٨ وما بعدها : الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م) جـ١ ، ص١٤٥: ابن جريس، "بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل ق٣هـ - ق٨هـ" **مجلة المؤرخ العربي**، العدد الثاني ، المجلد الأول /مارس/١٩٩٤م) ص ٧٣ - ١٠٠ ؛ ابن جريس، **دراسات في تاريخ تهامة والسراة** ، جـ١ . ص ١٦٥ - ١٩٦ ، ابن جريس، **نجران** ، ج. ١ ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٤١) المصادر والمراجع نفسها .

(٤٢) ابن حبيب ، **كتاب المنمق** ، ص٢٨٠ - ٢٨١ .

(٤٣) المصدر نفسه .

(٤٤) الأزرقي ، **اخبار مكة** ، جـ٢ ، ص٢٦٠ .

(٤٥) ناصر خسرو ، **سفرنامة** ، ص١٥٤ .

(٤٦) ابن جبير ، **الرحلة** ، ص٩٨ - ٩٩ .

(٤٧) المصدر نفسه .

(٤٨) المصدر نفسه .

(٤٩) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله، **رحلة ابن بطوطة**، تحقيق على المنتصر الكناني ، جـ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥م) ، ص ١٨٣ .

(٥٠) المصدر نفسه .

(٥١) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، جـ١ ، ص٢٧ .

(٥٢) هكذا يروي لنا الآباء والأجداد ويذكرون معاناتهم أثناء مشيهم على الأقدام من بلاد تهامة والسراة حتى مكة المكرمة بهدف أداء الحج والعمرة ، وكذلك المتاجرة في بعض مواشيهم وحبوبهم التي كانوا يذهبون بها إلى هناك . كما شاهدنا بعض رجالات تهامة والسراة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الهجري الماضي يوم كانوا يذهبون إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة أثناء مواسم الحج ، ثم يعودون وقد حملوا معهم بعض السلع المختلفة ، كالألبسة ، والأواني المنزلية وغيرها التي اشتروها من أسواق الحجاز . (مشاهدات الباحث وانطباعاته) .

(٥٣) مكة المكرمة من الحواضر العلمية الرئيسة في العالم الإسلامي ، وذلك بسبب احتوائها للكعبة المشرفة ، والحرم الشريف ، فكانت محط رحال العلماء والفقهاء والأدباء وأصحاب الفكر والثقافة من جميع أنحاء العالم الإسلامي . للمزيد من التفصيلات عن مكانة مكة المكرمة العلمية والفكرية، انظر: الفاسي ، **شفاء الغرام**، جـ١ ص٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦، الفاسي ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية . د. ت) جـ١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٥٢٦ ؛ جـ٢ ، ص٣٩٩ ؛ جـ٣ ١٣٩ - ١٤٢ ، ٣٢١ ، ٤٠٥، شلبي، أحمد، **تاريخ التربية الإسلامية** (القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٩٦٠م) ص ١٧ وما بعدها، عبدالله، عبدالرحمن صالح، **تاريخ التعليم في مكة المكرمة** (جدة : دار الشروق ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) ص ٣١ وما بعدها .

(٥٤) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص٢٧٧ - ٢٧٩ .

(٥٥) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ - ٢٧٩** .

(٥٦) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص٢٧٩ . والمتتبع والدارس للألفاظ واللهجات في يومنا الحالي في شبه الجزيرة العربية ، يجد أن بلاد السراة الممتدة من صنعاء في اليمن إلى الطائف في الحجاز ما زالت من أنقى اللهجات القريبة أو النابعة من اللغة العربية الصحيحة ، مع العلم أنها في الآونة الأخيرة بدأت تضعف وتتقهقر إلى الوراء، والأسباب

لذلك كثيرة من أهمها: اختلاط أهل البلاد بعناصر عديدة وافدة من بلدان إسلامية وغير إسلامية ، وكثير منهم لا يعرفون العربية فيبدأ سكان البلاد بتكسير لغاتهم ولهجاتهم حتى يفهم منهم أولئك الوافدون وبالتالي صارت تتأثر لهجات أهل البلاد بتأثيرات سلبية وخطيرة على اللغة العربية . أيضاً تدني مستوى تدريس اللغة العربية في المدارس وذلك ناتج عن عدم وجود المدرسين الأكفاء الملمين بعلوم اللغة . ومن المؤسف حقاً أنا قد نشاهد كثيراً من المعلمين المتخرجين في الجامعات ،وبعضهم يحمل مؤهلات عالية ، ومنهم من تخصصه اللغة العربية لا يفقهون في أصول اللغة العربية شيئاً ، وإن تحدثوا أو خطبوا لاحظت اللحن في حديثهم شائعاً وإن حضرت لدرس معلم في مدرسة ، أو لمحاضرة أستاذ في جامعة وجدته يتحدث بلغة بعيدة عن الفصحى ، وأحياناً تكون بلهجة البلد الذي جاء منه سواء كان من داخل المملكة العربية السعودية أو من خارجها .

(٥٧) الهمداني ، **صفة** ، ص ٢٧٧ وما بعدها .

(٥٨) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص٣٧٨ ـ ٣٨٤ ، أيضاً انظر تفصيلات أكثر في مقالة : الوهيبي، عبدالله الناصر، " تحديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية " بحث مقدمة في الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، **مصادر تاريخ الجزيرة العربية** جـ١، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص٣٦٣ ـ ٣٧٥ .

(٥٩) المصادر والمراجع نفسها .

(٦٠) الهمداني ، **صفة** ، ص٣٨١ وما بعدها: ابن جريس، غيثان بن علي، "**بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني**" ص ٧٦ ـ ١١١، ابن جريس، "**ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** " دراسة قُدمت في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، التي عقدت خلال الفترة من (١٣ ـ ١٥/ شعبان / ١٤٢٢هـ/ الموافق ٣٠ اكتوبر ـ أول نوفمبر /٢٠٠١م). وقد نُشرت ضمن أعمال الندوة في كتاب: **المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور** (حصاد / رقم/٩) (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص ١٩٥ـ ٢٥٦، ابن جريس، **دراسات في تاريخ تهامة والسراة** ... ، جـ١، ص ٢٤٩ وما بعدها .

(٦١) المصادر والمراجع نفسها ، وللمزيد انظر، ابن جريس، **دراسات في تاريخ تهامة والسراة** ، جـ١ ص ٢٤٩ وما بعدها ، ابن جريس، "أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية" **مجلة العرب** ، جـ٩ ، ١٠، سنة (٢٦) (الربيعان /١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ٥٩٤ ـ ٦١١ . كما نشرت الدراسة نفسها في ابن جريس، **صفحات من تاريخ عسير**، ج١، (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ص ٤٩ - ٦٠.

(٦٢) المصادر والمراجع نفسها ، كما يوجد لدى الباحث عشرات الوثائق التي توضح هجرة بعض علماء بلاد تهامة والسراة إلى مكة المكرمة أو حواضر إسلامية أخرى للاستزادة من العلوم والمعارف المختلفة ، وقد يعود بعضهم إلى أوطانهم للإقامة فيها في حين أن بعضهم الآخر قد يستقر في المدن والأمصار التي ذهبوا إليها .

(٦٣) لدى الباحث بعض الوثائق التي تحفظ أسماء وإجازات بعض الفقهاء ورجال العلم الذين ينتمون إلى بلاد تهامة والسراة خلال القرون المتأخرة الماضية .

(٦٤) للمزيد من التفصيلات انظر، ابن جريس، **تاريخ التعليم في منطقة عسير** (١٣٥٤ ـ ١٩٨٦هـ /١٩٣٤ ـ ١٩٦٦م) ، ج١، (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ /١٩٩٥م)، ص ٥١ وما بعدها ؛ ابن جريس، **دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م) ص ٦١ ـ ٨٤ .

(٦٥) المراجع نفسها .